

مكانة اللغة العربية في فكر الشيخ أبي اليقظان إبراهيم ابن الحاج عيسى (1888م-1973م)

The status of Arabic language
in the thought of Sheikh Abi Al-Yaqzan Ibrahim Ibn Al-Hajj Issa (1888-1973)

يمينة بن رحال¹

جامعة محمد بوضياف المسيلة

yamina.benrahal@univ-msila.dz

تاريخ الوصول 2023/04/21 القبول 2024/01/06 النشر على الخط 2024/03/15
Received 21/04/2023 Accepted 06/01/2024 Published online 15/03/2024

ملخص:

عملت السلطات الاستعمارية منذ احتلالها للجزائر عام 1830 بكل ما تملكه من قوة ووسائل متاحة لها سواء أكانت عسكرية أم إدارية على بسط نفوذها في البلاد، حيث تضافرت جهودها من أجل طمس الهوية العربية الإسلامية للجزائريين بكل أبعادها، فلقد تنبعت إدارة الاحتلال منذ البداية إلى أهمية اللغة العربية وقيمتها في المجتمع الجزائري الذي صار فريسة سهلة لسياسة المسخ التي اتبعتها السلطات الاستعمارية، لذلك حاولت القضاء عليها وفرنسة الجزائر لغويا وثقافيا وذلك بإحلال الفرنسية محل العربية، والهدف هو سحق الهوية القومية للشعب الجزائري وإلغاء عروبه حيث يدخل ذلك ضمن المشروع الثقافي الاستعماري الذي يقضي بنشر الثقافة الفرنسية في الجزائر بما فيها لغة المستعمر ولمواجهة هذا المشروع برزت وجوه وطنية لامعة تصدت للمخططات الاستعمارية فتحملت بذلك على عاتقها مسؤولية الدفاع عن مقومات الأمة وعلى رأسها اللغة العربية وترقيتها والتمسك بها باعتبارها من رموز القومية العربية الإسلامية، لتكون بذلك قد لعبت دورا رياديا في الحفاظ على مكانتها وقيمتها الحضارية .

الكلمات المفتاحية: الجزائر- الشيخ أبو اليقظان- اللغة العربية- الاستعمار- فرنسا- علماء- ثقافة.

Abstract:

After the Algerian people lost their sovereignty in 1830, they became easy prey to the policy of monstrosity pursued by the colonial authorities, the occupation administration has been aware from the beginning of the importance of the Arabic language and its value in both Algerian and Islamic society, so I tried to eliminate it and the French language Algeria by replacing French, The aim is to crush the national identity of the Algerian people and abolish their Arabism. This is part of the colonial cultural project which aims at spreading the French culture in Algeria, including the language of the colonizer. It has the responsibility to defend the elements of the Ummah, especially the Arabic language, to play a leading role in contributing to the preservation of its status and cultural value.

Keywords: Algeria-SheikhAbulYaqzhan-Arabic-Colonial-France-Scientists-Culture.

1. مقدمة:

بعد احتلال الجزائر عام 1830، أخذت فرنسا تخطط للبقاء في البلاد وتسعى لأن تجعل الجزائر جزءاً منها، فراحت تغير جميع مظاهر الحياة الجزائرية إلى مظاهر الحياة الفرنسية، حيث كثفت جهودها المادية والمعنوية في محاولة منها للقضاء على أحد أهم مقومات الشخصية الجزائرية وهي اللغة العربية، هذه الأخيرة التي تتمتع بنوع من القداسة الدينية، كونها لغة القرآن التي نزل الوحي بلسانها، فأكسبها بذلك خلوداً في نفوس الناطقين بها، كما قامت بشل الحياة الفكرية ونشر الأمية بين الجماهير وذلك بإغلاق المدارس العربية وتحريم التعليم باللغة العربية وفرسته

وإزاء هذا الموقف الأسيف ظهر علماء جزائريون أعدوا إعداداً خاصاً للنهوض بالأمة ومواجهة الاستعمار والقضاء على الفساد والجمود الفكري، ولعل الشيخ أبا اليقظان إبراهيم ابن الحاج عيسى واحد من علماء وادي ميزاب الذين دعوا دعوة صريحة إلى الاهتمام باللغة العربية وضرورة تلقينها وتعليمها وأحيائها باعتبارها لغة الدين الإسلامي ولغة الآباء والأجداد، فمن يكون يا ترى؟ وما هي أبرز الجهود التي بذلها في سبيل الحفاظ على اللغة العربية والتمسك بها؟

2. التعريف بالشيخ أبي اليقظان إبراهيم ابن الحاج عيسى (1888-1973)

1.2. أصله ونسبه:

هو الشيخ أبو اليقظان الحاج إبراهيم بن عيسى، بن يحيى، بن داود، بن عيسى، بن داود بن الشيخ الحاج أحمد بن الشيخ بلقاسم، بن حمو بن عيسى حمدي، لقبه ولقب أسرته الكبيرة المتعددة الفروع.⁽¹⁾

نسبه إلى جدهم الخامس، الشيخ الحاج أحمد، وهو من عشيرة "البلات" في القرارة ويصل نسبه الشريف، ونسب قبيلته إلى عبد المؤمن بن علي الموحدي أعظم ملوك الدولة الموحدية في المغرب، وقد انتقل أجداد الشيخ أبي اليقظان من جنوب المغرب الأقصى في الساقية الحمراء فاستقر بعضهم في "وارجلان"⁽²⁾ بجنوب الجزائر ومنه انتقل جده الشيخ بلقاسم إلى القرارة.⁽³⁾

أما عن كنية أبي اليقظان فاقببها الشيخ من الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح، بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم⁽⁴⁾ إعجاباً بعبده، وعلو همته كرجل علم، ودين، ودولة فتلقب به⁽⁵⁾ وقد صار أبو اليقظان لقباً للشيخ وأولاده وأحفاده وغطى على لقبهم الأصلي وهو "حمدي".⁽⁶⁾

2.2. ميلاده ونشأته:

- (1)- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013، ج1، ص220.
- (2)- هي ورقة تقع على بعد 800 كلم جنوب شرق الجزائر العاصمة تبلغ مساحتها 163233 كلم، تعد من أوسع ولايات الوطن، ورد اسمها باسم وركلة حسب الكتابات العربية أو وارجلان، عرفت المدينة أزهى عصورها في القرن العاشر ميلادي بسبب تجارة الذهب.
- (3)- محمد علي دبوز، المصدر نفسه، ص220.
- (4)- هو خامس أئمة الدولة الرستمية المغربية، حفظ الدولة الرستمية من كيد أعدائها العباسيين، فقضى على الفتنة التي أشعلوها في تيهرت العاصمة، ليضعوا الدولة ويمهدوا لغزوها من الخارج، للمزيد أنظر: محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، القاهرة، 1963، ص583.
- (5)- أحمد محمد فرصوص، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته، داغر البعث، قسنطينة، 1991، ص15.
- (6)- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح، ج1، ص220.

ولد أبو اليقظان إبراهيم بن الحاج عيسى، يوم الاثنين 29 صفر 1306 هـ الموافق لـ نوفمبر 1888م⁽¹⁾، في القرارة إحدى بلدات ميزاب، وهي دائرة من دوائر ولاية غرداية حاليا بالجنوب الجزائري⁽²⁾ كان والده الشيخ الحاج عيسى بن يحيى من عشيرة البلات إماما واعظا بمسجد القرارة لمدة أربعة عشر سنة⁽³⁾ اشتهر بالخلق الكريم، والسلوك القويم والغيرة على الدين ومقدساته⁽⁴⁾ كما كان محل ثقة بين قومه، قام بينهم بمشاريع خيرية، كان عضوا عاملا في المجلس الديني المعروف باسم "العزابة"⁽⁵⁾ وفيه تناط جميع أنظمة البلد سواء القضايا المتعلقة بالدين أو بالاجتماع أو حتى القضايا الثقافية، وله فيه آثار حسنة، فكان خير مرب وأحسن معلم رؤوف بالطلبة يحبهم و يحنو عليهم فأحبوه واحترموه، فاستطاع أن يغرس فيهم أخلاقه ويملأهم بوجدانه حب الدين وخشية الله، ولقد اختارته عشيرته وكيلا ليتامى كثيرين فاعتنى بتربيتهم ورعاهم في أنفسهم وأموالهم.

وعندما توفي الحاج عيسى في عام 1890 م ترك وراءه بنتا سميت بمريم وثلاثة بنين، يحيى محمد، إبراهيم (أبو اليقظان)، هذا الأخير الذي لم يكد يمضي على ولادته سوى عام وثلاثة أشهر⁽⁶⁾ فعاش ربيبا بعد أن تزوجت أمه برجل فقير، ما لبث أن توفي هو الآخر بعد مدة قصيرة⁽⁷⁾ فاحتضنتهم والدتهم ولم يكن لهم معيل غير عملهم الفلاحي وهو قليل الجدوى⁽⁸⁾ فقد أصبح الشيخ الحاج إبراهيم الإبريكي⁽⁹⁾ وكيلا لهم فأحسن الرعاية.⁽¹⁰⁾

نشأ الشيخ أبو اليقظان وترعرع في بيئة ميزابية محافظة، وأسرة كريمة فلاحية، تعتمد على العمل الشاق لكسب قوت العيش، فذاق بذلك مرارة الدهر منذ الصبا وهو يعاني الفقر واليتم فصادفته ظروف قاسية منذ طفولته فتحداها ولم تقف عائقا أمام تحقيق مطامحه، بل مضى يشق طريقه مقتحما الصعاب ومحطما العراقيل لا تثنيه عن أهدافه السامية العترة، لتعود عليه بالخير العظيم والنفع الكبير.

3. تعلمه و رحلاته:

1.3. تعلمه داخل الوطن (1896م-1910م):

- (1)- محمد ناصر، "المصلح الراحل الشيخ أبو اليقظان"، جريدة الشعب، العدد 2212، الاثنين 6 ربيع الأول، 1393 هـ، الموافق لأفريل، 1973، ص 10.
- (2)- أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص 212.
- (3)- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ص 228.
- (4)- محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، الجزائر، 2000م، ج3، ص 738.
- (5)- هو نظام سنته الإباضية بعد سقوط الدولة الرستمية، وهو عبارة عن هيئة ينتخب أعضاؤها في كل بلدة، يشرف على الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية.. يشترط في العضو العلم والورع والإخلاص والشجاعة وأن يكون صاحب عمل أو حرفة، للمزيد أنظر: إبراهيم طلاي، ميزاب بلد كفاح، مطبعة البعث، قسنطينة، 1970، ص 38.
- أيضا: محمد ناصر، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، جمعية التراث، القرارة، 1989.
- (6)- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ص 229.
- (7)- محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط2، 2008، ج2، ص 191. أيضا: أحمد محمد فرص، المصدر السابق، ص 15.
- (8)- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، تونس، ط1، 1926، ج1، ص 110.
- (9)- هو الحاج إبراهيم بن عيسى الإبريكي، يعد أحد زعماء النهضة الحديثة في القرارة له إسهامات عدة في معهد الحياة، توفي سنة 1911 للمزيد أنظر: محمد علي دبوز، نخضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ج2، ص 159.
- (10)- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح، ج1، ص 230.

درس أبو اليقظان المرحلة الابتدائية في القرارة مسقط رأسه على الطريقة التقليدية، حيث التحق بكتاب قرآني عام 1896م، فأخذ يتعلم المبادئ الأولى كالقراءة والكتابة وحفظ سور من القرآن الكريم في بعض كتاتيب البلد المسماة "بالمحاضر"⁽¹⁾ وما لبث أن حفظه كله عن ظهر قلب، لدرجة أنه امتحن في حفظه فأجاده⁽²⁾ وكان عمره آنذاك ثمانية سنوات، ليكون بذلك كتاب القبلي أول الكتاتيب التي تفتحت فيها شخصيته الدينية⁽³⁾ وسرعان ما حمل لوحه على كتفه قاصداً دار الحاج عمر بن يحيى⁽⁴⁾ الذي كان مع طلبته أثناء الدرس فدخل عليهم وصاح بصوت عال وفي إجلال كبير للمقام وشدة حب العلم "حمالديك" سعزمتي إري" أي "علموني يرحمكم الله" فاستبشر به الشيخ وأدخله الكتاب ليكون قد التحق بمعهد فآخذ عنه مبادئ التوحيد والفقه والأخلاق والنحو والصرف⁽⁵⁾.

لقد تحقق حلم أبي اليقظان بدخوله دار التلميذ للدراسة على يد الشيخ عمر بن يحيى خاصة وأنه يهتم بتلقين دروس في التربية الاجتماعية والخلقية، ويحاول تثبيتها في عقول كل من حضر من تلامذته الدرس، فكان حريصاً كل الحرص على غرس مبادئ الإصلاح في نفوس طلبته بأقواله وأفعاله، وفي الكثير من الأحيان كان يتعرض لمختلف قضايا الوطن من جهل وفساد واستبداد الفرنسيين، ليكون قد تعلم من شيخه الشجاعة والغيرة على الدين والوطن.

وعندما سافر شيخه لأداء فريضة الحج، دعت أمه للعمل في الفلاحة أو السفر للتجارة والانقطاع عن طلب العلم وذلك بسبب شدة الفقر وسوء الأوضاع وترديها، خاصة بعد أن توفي الابن الأكبر للعائلة يحيى سنة 1901 وعمره لا يتعدى 20 سنة، فلبى طلب والدته التي كانت تستقبله رفقة إخوته بالتشكي ألماً وحسرة للحالة التي آلا إليها، فسافر إلى مدينة باتنة للاشتغال بها أجيراً سنة 1904، فمكث بها أربعة أشهر وإثنى عشر يوماً⁽⁶⁾ وكان يسعى إلى أن يعيل عائلته لأن الفلاحة التي يقوم عليها لم تعد تسد رمقهم.

وسرعان ما عاد أبو اليقظان إلى القرارة لمزاولة تعليمه على يد الشيخ الحاج إبراهيم الأبريكي إلى أن أعاد الحاج عمر بن يحيى فتح معه فالتحق به من جديد، فتمكن بذلك إبراهيم من قطع المرحلة الابتدائية في معهده، فنضجت مواهبه وبرزت شخصيته القوية.

وفي سنة 1907، انتقل بإذن شيخه رفقة بعض زملائه كإبراهيم بن بكير⁽⁷⁾ إلى بلدة بني يزقن وهي مدينة العلم والعلماء، بغية الاستزادة من التحصيل العلمي حيث تعلم على يد قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، فهو يعتبر المحور الأساسي للدراسة الثانوية، فلأزمه نحو ثلاث سنوات، أخذ عنه الكثير من العلم والمعرفة، كما درس على يد بعض قدماء تلاميذ القطب منهم:

1 - الحاج إسماعيل زرقون في مادي النحو والصرف.

2 - الحاج سليمان بن بكير مطهري في الاصطلاحات الفقهية والشريعة الإسلامية.

3- عبد الرحمان بن عمر الفرضي ورمضان بن يحيى اللبني الجبري في الحساب والفرائض⁽¹⁾

(1)- تعرف أيضاً بالكتاتيب حيث تحضر وتحيى التلاميذ للدخول إلى المدارس، وتكون بجوار المسجد ميزتها أنها يؤمها كل من يرغب في الذهاب إليها من لم يبلغ سن الدراسة إلى من تقدمت به السن.

(2)- عبد الرزاق قسوم، "أبو اليقظان أحد رواد الإصلاح في الجزائر"، مجلة الأصالة، ع 05، مطبعة البعث قسنطينة، 1971، ص 102.

(3)- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح، ج 1، ص 258.

(4)- هو أحد أعمدة النهضة في القرارة بالجنوب، ومدرس كبير تلقى عنه العلم في مسقط رأسه قبل انتقاله إلى بني يزقن، توفي بالقرارة سنة 1921 للمزيد أنظر: محمد علي دبوز، نخضة الجزائر الحديثة، ج 2، ص 162.

(5)- محمد الهادي السنوسي، المصدر السابق، ص 110.

(6)- أحمد محمد فرصوص، المصدر السابق، ص 16.

(7)- هو واحد من كبار المصلحين المثقفين بالقرارة ولد سنة 1890 بميزاب، أنشأ معهداً خاصاً به ودرس فيه لفترة طويلة توفي رحمه الله سنة 1954.

2.3. تعلمه خارج الوطن (1910 – 1914):

1.2.3. سفره إلى المشرق لطلب العلم:

بعد أن استوعب أبو اليقظان ما عند مشايخ المنطقة من العلم والمعرفة، تأقت نفسه للمزيد فعقد العزم على السفر نحو الشرق⁽²⁾ رغم فقره وقلة مصاريفه فقد اتخذ من الحج ذريعة للوصول إلى هدفه، وكان في حسابه أن يعرج على مصر ليلتحق بالأزهر الشريف⁽³⁾ لذلك أبحر أبو اليقظان سنة 1910 قاصدا تلك البقاع المقدسة متخذا الطريق على تونس، فطرابلس، فمصر حتى بلغ المنى، وحل بالحجاز فشهد تلك الآثار الخالدة، لكن ظروف الزمن وقلة الإمكانيات حالت دون ذلك، حيث حاصرت الأزمة المالية التي عاقت وحالت دون تحقيق هدفه المنشود، فلقد قاسى في هذا السبيل الشدائد وصارح الأهوال، فما كان أمامه إلا أن يعد حقائبه من جديد ليعود معرجا على دمشق فبيروت، فطرابلس، فتونس، ولم ينل من أمانيه غير زيارة تلك المواطن الشريفة⁽⁴⁾ لكنه تعلم أقل الأشياء الاعتماد على النفس والتعود على تحمل الصعاب⁽⁵⁾ فعاد إلى شيخه الأكبر أطفيش، ثم غادره نائيا سنة 1912 م ليعود إلى القرارة مسقط رأسه⁽⁶⁾.

لم تكن مهمة تلقي العلم بالأمر السهل على شاب يتيم وفقير محدود الإمكانيات، في بلد ساد فيه الجهل وقلة المدارس والعلماء، بالإضافة إلى شبح الحرب العالمية الأولى الذي كان يلوح في الأفق لذلك كانت رحلته العلمية طويلة ذات مراحل متعددة، ابتدأت بالمرحلة الابتدائية بمسقط رأسه القرارة ثم المرحلة الثانوية ببني يزقن، وامتدت إلى مكة المكرمة والقاهرة قبل أن يستقر في النهاية بتونس التي كانت بالنسبة للجزائريين القبلية الثقافية الأولى⁽⁷⁾.

2.2.3. سفره إلى تونس لطلب العلم:

لما كانت الحياة الثقافية والفكرية منتعشة في تونس بفضل انتشار المدارس والمراكز العلمية خاصة جامع الزيتونة، فنجد أغلب الجزائريين كانت وجهتهم المفضلة للدراسة في أواخر القرن 19م نحو تونس، وكان أبو اليقظان واحدا من الذين سافروا إليها من أجل مداواة بصره ومزاولة دراسته سنة 1912م⁽⁸⁾ إذ تلمذ على يد مجموعة من الأعلام المشهورين في جامع الزيتونة نذكر منهم:

1 - الشيخ الطاهر ابن عاشور، صاحب التفسير والبلاغة.

2- الشيخ عبد العزيز جعيط المفتي المالكي، وشيخ الإسلام في علم الأصول.

3- الشيخ محمد بن يوسف مفتي الحنفية، في علم التفسير.

4 - الشيخ محمد النخيلفي علم التفسير.

5- الشيخ الصادق النيفر في علم البلاغة.

(1)- أحمد محمد فرصوص، المصدر السابق، ص 31.

(2)- نفسه، ص 27.

(3)- أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة، ص 212.

(4)- محمد الهادي السنوسي، المصدر السابق، ص 111.

(5)- أحمد بن ذياب، "أبو اليقظان والنهضة القومية"، مجلة الأثير، العدد 10، جانفي 1973، ص 5.

(6)- أنور الجندي، المرجع السابق، ص 212.

(7)- يمينة بن رحال، "الشيخ أبو اليقظان إبراهيم ابن الحاج عيسى وقضايا عصره (1888-1973)"، رسالة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2004-2005 م، ص 14.

(8)- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح، ج 2، ص 143.

6 - الشيخ أبو الحسن النجار في النحو والصرف.

7- الشيخ ابن القاضي في النحو والصرف⁽¹⁾.

لم يكتف أبو اليقظان بما أخذه من أفكار ودروس في الجامع الأعظم، بل راح ينهل من الدروس المسائية في الخلدونية⁽²⁾، فكانت مكملة في الرياضيات واللغة الفرنسية

والإنشاء والتاريخ⁽³⁾ ومن بين الأساتذة الأجلاء الذين كان لهم الفضل العظيم في صقل معارفه نجد:

1- الأستاذ محمد العبيدي في الرياضيات.

2- الأستاذ محمد الأصرم في الجغرافيا.

3- الأستاذ الصادق النيفر في فن التعليم.

4- الأستاذ مناشو في فن الإنشاء.

5- الأستاذ حسن حسين عبد الوهاب في التاريخ.

6- الأستاذ الطاهر بن صالح في اللغة الفرنسية⁽⁴⁾.

3.3. رحلته وآثارها في تكوين شخصيته:

بعد عامين من دراسته في بلاد المهجر، عاد أبو اليقظان، إلى مسقط رأسه "القرارة" التي أسس بها مدرسة تنتهج نهجا عصريا وتسير وفق برنامج متطور، أشرف عليها ووفر لها كتباً عصرية جديدة، وأدخل مواد لم تعتمد في المدارس القرآنية في تدريسها وإتباعها آنذاك، إلا أن المدرسة لم يكتب لها النجاح بسبب فقدان الوعي الاجتماعي، حيث لم تجد التشجيع المطلوب.⁽⁵⁾

ونظرا لحرمان أبناء الجزائر من التعليم العربي بسبب ظروف الاستعمار وسياسته القهرية نجد أن أبا اليقظان قد سارع إلى تنظيم أول بعثة علمية ميزابية إلى تونس في مارس 1914.⁽⁶⁾ فأشرف على توجيهها رفقة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش ومحمد الثميني وكان مقرها نهج المدرسة السليمانية.

وفي سنة 1915 أسندت للشيخ أبو اليقظان عند عودته إلى مسقط رأسه إدارة مدرسة أنشأها أبناء بلده، فاعتنى بها وطبق فيها النظام الذي عرفه في المدرسة الخلدونية بتونس⁽⁷⁾ غير أن عمر المدرسة كان قصيرا سرعان ما تم إغلاقها سنة 1916 بسبب الظروف القاسية التي كانت تمر بها البلاد لا سيما ظروف الحرب العالمية الأولى⁽⁸⁾. الأمر الذي جعل أبا اليقظان يشد الرحال من جديد إلى تونس مصطحبا

(1)- محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص 740.

(2)- هي عبارة عن معهد علمي عصري بتونس، تأسس عام 1896م مقره سوق العطارين، وهو بمثابة فرع من فروع الزيتونة، مهمته تدريس المواد المختلفة كالتاريخ والجغرافيا والرياضيات، الفرنسية، يستقطب الطلاب من جامع الزيتونة استقطابا عظيما، للمزيد أنظر: شارل أندري جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د. ت)، ص 77.

(3)- محمد الهادي السنوسي، المصدر السابق، ص 111.

(4)- أحمد محمد فرص، المصدر السابق، ص 32.

(5)- محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة دار هومة، 2000، ج 1، ص 90.

(6)- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 3، ص 144.

(7)- صالح بن عبد الله أبو بكر، القرارة من دخول الاستعمار الفرنسي إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، الحلقة الثانية، جمعية التراث، القرارة، 2014، ص 221.

(8)- عبد المالك مرتاض، فنون النشر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 484.

معه مجموعة من التلاميذ لينقل بذلك أمله وأمل أهل القرارة معا إلى مدينة العلم والعلماء، وبقيت تتلاحق بعدهم بعثات علمية ميزابية أخذت تنهال من علوم جامع الزيتونة والمدارس الأخرى في النهار، وفي الليل يعودون إلى مأواهم الكائن بنهج المدرسة السليمانية فدامت البعثة اليقظانية في سيرها على هذا المنوال إلى غاية 1926.⁽¹⁾

دخل أبو اليقظان معترك النضال السياسي حيث انضم إلى المنظمة السرية الثعالبية سنة 1917، وما لبث أن أصبح عضوا بارزا في الحزب الحر الدستوري سنة 1920⁽²⁾ برعاية الشيخ عبد العزيز الثعالبي وبمشاركة صالح بن يحيى⁽³⁾ والشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش. لقد كانت تونس محطة هامة في تاريخ الشيخ أبي اليقظان، فلقد حركت أحاسيسه الوطنية وعلمته ممارسة النشاط السياسي والصحفي⁽⁴⁾ كما فتحت له المجال واسعا للتعرف على العلماء الأجلاء والقادة والزعماء السياسيين، فربطته علاقة حسنة وطيبة وتعاون بمفكرها ورواد نهضتها، وكان الشيخ همزة وصل بين الثعالبي بتونس والأمير خالد في الجزائر.

كما قام أبو اليقظان بتنظيم ندوات أدبية⁽⁵⁾ وإنشاء النادي الأدبي الذي أصبح مركز إشعاع للشعر والأدب في ميزاب⁽⁶⁾، فكان يرى بأن النوادي والجمعيات والمساجد لم تعد كافية للنهوض بالمجتمع لذلك وجب أن يجد منبرا أكثر جدوى لإيصال أخبار الأمة وأفكاره إلى نطاق واسع فاتجه نحو عالم الصحافة والتي تعد من أهم الوسائل تأثيرا في المجتمع، فهي ليست وسيلة لجلب الربح المادي والشهرة لأصحابها ومحريها، وإنما هي قوة تصنع الرأي العام في الأمة، وبالتالي تمثل أداة وصل بينها وبين الناس، فلقد تمكن من إصدار ثمانية جرائد وطنية إسلامية باللغة العربية بين سنوات 1926-1939 وهي وادي ميزاب-ميزاب-المغرب-النور-البستان-النبراس-الأمة-الفرقان.

والجدير بالذكر أن مهارة الشيخ أبا اليقظان في مجال الصحافة لم تكن وليدة تكوين إعلامي، وإنما هي شعور رافقه منذ طفولته ومع مرحلة التعليم، إذا كان شغوا بمطالعة الصحف والمجلات التونسية وغيرها من الصحف العربية، فكان لها كبير الأثر في تكوين وصقل فكر أبي اليقظان مثل جريدة الزهرة، اللواء المصري وادي النيل، مجلة المنار، جريدة الحق...

كما كانت له إسهامات عدة بفكره وقلمه في كتابة الكثير من المقالات التي تعالج مختلف القضايا في الصحف التونسية كجريدة المنير، الاتحاد، لسان الشعب، الأمة، بالإضافة إلى الصحف الجزائرية التي كان له فيها مجالا واسعا لإبداء مواقفه كجريدة الإقدام، المنتقد⁽⁷⁾، الفاروق⁽¹⁾، النجاح⁽²⁾

(1)-أنور الجندي، المرجع السابق، ص 213.

(2)-حمو محمد عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر، مجلد II، ص 85.

(3)-هو صالح بن يحيى بن سليمان بن عيسى آل الشيخ: ولد ببني يزقن، تلمذ على يد قطب الأئمة ثم سافر إلى تونس، يعد أحد رجال الإصلاح والوطنية في كل من الجزائر وتونس، من مؤسسي الحزب الحر الدستوري، عضو في اللجنة التنفيذية وفي لجنة الدعاية والمالية، كان ميسور الحال ماديا، سجنه الاستعمار الفرنسي، توفي سنة 1948 للمزيد أنظر: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 235.

(4)-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ج5، ص291.

(5)-تقرير من المقيم العام إلى الحاكم العام بالجزائر مؤرخ في 02 جانفي 1935 يوضح نشاط أبي اليقظان في تونس (المدرسة الصديقية)، A.O.M : 15H23

(6)-الشيخ أبو عمران وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر، 2000، ص 497.

(7)-صدرت بقسنطينة في جويلية 1925، يتولى تحريرها نخبة من الشبيبة الجزائرية، يدير شؤونها الإدارية السيد أحمد بوشمال، في حين يشرف على توجيهها الإمام عبد الحميد ابن باديس، تصدر أسبوعيا فهي جريدة حرة وطنية تهذيبية انتقادية، شعارها الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء، برز منها 18 عددا، عطلت بأمر حكومي بعد أن دامت أربعة أشهر في أكتوبر 1925. للمزيد ينظر: محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية 1847-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 54.

لقد استعان أبو اليقظان بوسيلة الصحافة بغية نشر الوعي القومي والنهوض بالأمة من سباتها العميق، خاصة وأنها تعد من المصادر الهامة التي تحمل في ثناياها شهادات حية لفترة تاريخية عصيبة، أين وقف الشعب الجزائري صامدا ومقاوما للسياسة الاستعمارية وما ترتب عنها من قهر واستغلال في مختلف المجالات.

والمعروف أن صحف أبي اليقظان كانت بمثابة الشوكة الموجهة في حلق الاستعمار وأذنا به⁽³⁾ لما تحتويه من مواضيع هامة تصب كلها في سبيل خدمة القضية الجزائرية وقضايا العالم العربي والإسلامي.

ولما كانت صحافته نزيهة وخوفا من الدور الذي تلعبه في توعية الشعوب المستعمرة وإيقاظها وإنارة عقولها، فلقد كانت محل مطاردة ومضايقة ومراقبة مشددة من طرف السلطات الفرنسية التي كانت من ورائها بالمرصاد تلاحقها بالتعطيل والمصادرة الواحدة تلو الأخرى محاولة إطفاء نورها وإخماد روحها.⁽⁴⁾

لكن أبي اليقظان كان فطنا وأكثر صمودا، فكلما صودرت صحيفة من صحفه إلا وفاجئ الاستعمار بصحيفة أشد منها ضراوة، وفي هذا الشأن يقول مقولته الشهيرة "هم عودونا التعطيل ونحن عودناهم التجديد".⁽⁵⁾

ومن جهوده المشكورة أيضا أن أسس سنة 1930 المطبعة العربية⁽⁶⁾ والتي كان لها دور مرموق في إرساء دعائم النهضة، إذ تعد أول مطبعة حديثة باللغة العربية في الجزائر، وبها طبع صحفه الخاصة وصحف غيره وكتبهم وآثارهم، فكان لها دور عظيم في تكوين نهضة أدبية بالجزائر.⁽⁷⁾

ولما تكتل علماء الجزائر، وأسسوا جمعية العلماء المسلمين عام 1931 انضم الشيخ أبو اليقظان إليها فانتخب لعضوية المجلس الإداري سنة 1932⁽⁸⁾ وأعيد انتخابه لمنصب نائب أمين المال سنة 1934⁽⁹⁾ حيث خلف الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، الذي كان منشغلا بتسيير معهد الحياة وظل الشيخ أبو اليقظان في حركته العلمية الدائبة ونشاطه الفكري والإصلاحي مدافعا على الجمعية

(1)- هي جريدة وطنية إسلامية أصدرها عمر بن قذور الجزائري في فيفري 1913 وهي أمرة بالمعروف وناهية عن المنكر وفارقة بين الحق والباطل، صدر منها حوالي 95 عددا، عطلت من طرف الإدارة الفرنسية ونفي صاحبها إلى الأغواط وبعد عودته من المنفى أعاد إصدارها في شكل مجلة، التي صدر منها 15 عددا توقفت نهائيا عام 1921.
(2)- صاحبها عبد الحفيظ بن الهاشمي، صدرت سنة 1919 بقسنطينة، كانت أسبوعية في أول أمرها ثم أصبحت يومية، تعد النجاح أطول الجرائد العربية الجزائرية عمرا وأحسنها إخراجا، حيث ماتت بموت محررها مامي إسماعيل واشتغال مديرها عبد الحفيظ بن الهاشمي توقفت عام 1939 بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية، ثم عادت للظهور من جديد عام 1945 لتتوقف نهائيا عام 1957.

(3)- مراسلة موجهة إلى مدير الشؤون الأهلية بالجزائر مؤرخة في 24 سبتمبر 1931 تتضمن حديثا عن النشاط الصحفي للشيخ أبو اليقظان الذي كان منافيا لفرنسا. A.O.M :15H22

(4)- مراسلة موجهة من الكابتن فيفور إلى القائد العسكري لغرداية مؤرخة في 27 جويلية 1933 يخبره عن نشاط جريدة النبراس لصاحبها أبو اليقظان والتي خلفت جريدة النور، فهو يطلب تشديد العقوبة ضد صاحبها. A.O.M :15H22 أيضا: مراسلة من الوالي العام للجزائر إلى القائد العسكري لغرداية مؤرخة في 13 مارس 1936 تؤكد بأن شركاء جريدة الأمة قد تراجعت على مستوى منطقة الجلفة. A.O.M :15H23

(5)- محمد الطاهر فضلاء، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1984، ص 88.

(6)- محمد صالح ناصر، مشايخي كما عرفتهم، دار الريام، الجزائر، 2008، ص 66.

(7)- أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح (1925. 1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ج2، ص 205.

(8)- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وآثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 167.

(9)- الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين في آخر سنتها الرابعة. "الأمة"، العدد 43 (1935/09/24). أيضا: محمد خير الدين، مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج1، ص 119.

وأهدافها السامية عن طريق صحفه⁽¹⁾ وعن الجمعية يقول أبو اليقظان: "... لم تمض على إنشائها مدة وجيزة حتى ضربت موجة الإصلاح بها من أقصى البلاد إلى أقصاها، ثم تسامع الناس أخبارها، فكان لها دوي هائل في الغرب والشرق، وكان لها صوت مسموع في أقطار الإسلام... تلك هي حقيقة جمعية العلماء وتلك غايتها في وضوح من النهار، ظاهرها باطنها، وباطنها ظاهرها، لا خفاء فيها ولا لبس".⁽²⁾

4. وفاته وآثاره:

حياة الشيخ كانت مسيرة حافلة بالمآثر والعظائم ورسائله نبيلة رفعت به إلى مقام عظماء الرجال، وبقي على هذا المنوال ناشطا ومكافحا، إلى أن أصيب بالشلل النصفي سنة 1957⁽³⁾ الذي أقعده في منزله مدة طويلة حوالي عشر سنوات، إلا أن عقله وفكره ولسانه كانوا في منتهى الإدراك والوعي، فتحدى المرض وتجاوزه بصبر عظيم إلى أن وافته المنية يوم السبت 31 مارس 1973⁽⁴⁾ بالقرارة مسقط رأسه، فاحتضنه التراب كما احتضن كل من عاد إليه، وإن مضى الشيخ أبو اليقظان للقاء ربه فإنه سيظل ويبقى في ذاكرة التاريخ عنوانا بارزا لعمق العقيدة ورسوخ الإيمان وصدق الوطنية والتضحية الخالصة في سبيل الوطن والإسلام، فعندما تفاخر الأمم والشعوب ببناء مجدها وصناع تاريخها تفاخر الجزائري بأبي اليقظان الذي ترك وراءه تراثا فكريا ضخما أثرى به المكتبة العربية والإسلامية وهو يقارب الستين مؤلفا بين شعر ونثر، منه ما طبع ومنه من مازال في أدراج الرفوف مخطوطا.

5. موقف السلطات الاستعمارية من اللغة العربية:

مع بداية الاحتلال الفرنسي للبلاد كانت نظرة الاستعمار إلى اللغة العربية نظرة عدائية، حيث صمم على سحقها بالكامل وبمختلف الوسائل وطمس معالمها وآثارها وتحريم تعليمها عن طريق غلق مؤسساتها وتضييق الخناق على معلمها ويدخل ذلك ضمن المشروع الثقافي الاستعماري الذي يهدف إلى تحقيق سياسة الإدماج.

لقد قامت الإدارة الاستعمارية بسن مجموعة من الأحكام والقوانين التعسفية لتحقيق مشاريعها، التي كانت لها أهداف خطيرة وهي الرغبة في القضاء على الكيان الجزائري من خلال محو مقومات الشخصية العربية الإسلامية وكانت اللغة العربية مستهدفة عن طريق سياسة الفرنسة التي اتخذتها السلطات الاستعمارية كنظام يجعل من اللغة لغة أجنبية. علما بأنه قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر كانت تدرس اللغة العربية بطريقة منظمة ولم تكن الأمية سائدة في الأوساط الجزائرية، والدليل على ذلك هو أن التوقعات في بداية الاحتلال كانت تقع بالكتابة لا بالأصبع كما أصبح جاريا فيما بعد⁽⁵⁾.

والمعروف أن أول ما قام به الاستعمار الفرنسي هو شل الحياة الفكرية، ونشر الأمية بين الجماهير، وذلك بإغلاق المؤسسات التعليمية كالكتاتيب والمساجد والزوايا والمدارس العربية الحرة وكان هدفها هو إبطال مفعولها خاصة بعد أن تبين مدى تأثير هذه المؤسسات على المجتمع الجزائري وأبنائه الذين يتغذون من علومها ومعارفها خاصة فيما تعلق بقضية تعلم اللغة العربية والتفقه في دينهم، فسياسة

(1)-تقرير يبين مساندة جريدة الأمة اليقظانية لجمعية العلماء المسلمين. A.O.M :15.H.23

(2)-أبو اليقظان، "موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري"، جريدة البصائر، العدد I، 27 ديسمبر، 1935، السنة 1، ص 06.

(3)-يوسف بن بكير الحاج السعيد، تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية وسياسية، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983، ص 190.

(4)-معجم أعلام الإباضية، ج 2، ص 29.

(5)- أنيسة بركات، "التأثير الثقافي في الأسرة الجزائرية من الاحتلال إلى استرجاع الاستقلال"، مجلة الثقافة، عدد 82، سنة 1984، ص 197 .

التجهيل كانت إلى جانب سياسة التفجير، وهو شعار الاستعمار، الذي كان هدفه اجتثاث شعب بأكمله من منبعه الأصلي وقطع كل ما يربطه بماضيه العريق، والقضاء على خصائص هويته الوطنية الحضارية⁽¹⁾.

لذلك سعت فرنسا إلى فرنسة الجزائر لغويا وثقافيا، وهو ما يؤكد تقرير فرنسي صدر سنة 1847 جاء فيه ما يلي: "إن الجزائر لن تصبح فرنسية، إلا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها، والعمل الجبار الذي يتحتم علينا إنجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالي، إلى أن تقوم مقام العربية"⁽²⁾.

لقد أدرك الفرنسيون بأن اللغة العربية هي رمز المقاومة في وجه الغزو الديني والفكري الذين يسعون لتحقيقه، وفي ذلك يقول جاك بيرك: "إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية، الفصحى بالذات، فهي التي حالت دون ذوبان العرب في فرنسا"⁽³⁾.

كما سعت السلطات الفرنسية حسب المؤرخ موريس وول إلى القضاء على مؤسسات اللغة العربية بقوله "أول ما بدأنا به هو القضاء على المسيدات والزوايا الريفية والمدارس العليا وغير ذلك من المعاهد الإسلامية المتواجدة قبل عام 1830"⁽⁴⁾ وأوجدت السلطات الاستعمارية مدارس بديلة هدفها القضاء على التعليم العربي الإسلامي.

علما بأن الكثير من الباحثين وعلى رأسهم الفرنسيين أنفسهم يؤكدون بأن التعليم في الجزائر كان مزدهرا قبل سنة الاحتلال عام 1830، بدليل تواجد العديد من المؤسسات التعليمية على مختلف أنواعها من مدارس ومساجد ومعاهد... تعلم مختلف العلوم وهذا ما أكده النائب الفرنسي توكفيل Tang-ville عام 1847 وما كتبه إسماعيل أوريان ismailurban "إن الجزائريين الذين يحسنون القراءة والكتابة كانوا في ذلك العهد أكثر عددا من الفرنسيين الذين يقرؤون ويكتبون، ولاحظ الإثنان أن 45% من الفرنسيين كانوا أميين"⁽⁵⁾.

وبالتالي فإن نسبة الجزائريين الذين يحسنون القراءة والكتابة في سنوات الاحتلال الأولى تفوق بكثير من نسبة المتعلمين في جنود الجيش الفرنسي الذي احتل الجزائر⁽⁶⁾.

لقد أصدرت السلطات الفرنسية أحكاما تعسفية للقضاء على اللغة العربية ولتحقيق ذلك اتخذت الإجراءات التالية:

1- عزل اللغة العربية عن الحياة العامة في التعليم والإدارة والمحيط الاجتماعي وأجهزة الإعلام إذ أصبحت الفرنسية اللغة الرسمية في الإدارة⁽⁷⁾.

2- اضطهادها عن طريق إخفاء المؤسسات التعليمية التي كانت في نفس الوقت مؤسسات دينية، فقد كان التعليم يقدم في المساجد التي كانت أمكنة للتعبد والصلاة، فهي تمثل أيضا مراكز للتربية والتعليم بالإضافة إلى المدارس والكتاتيب القرآنية.

(1)- نفسه، ص 199.

(2)- الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، دون دار نشر، الجزائر، 1994، ص 12.

(3)- أنور الجندي، المرجع السابق، ص 237.

(4)- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1983، ص 240.

(5)- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ص 94-95.

(6)- سعد الدين ابن أبي شنب، "النهضة العربية في القرن 4هـ"، مجلة كلية الآداب، العدد 01، الجزائر، السنة الأولى، 1964، ص 29.

(7)- أحمد بن نعمان، حزب البعث الفرنسي، دار الأمة، الجزائر، 1995، ص 41.

3- استيلاء السلطات الفرنسية على مختلف المؤسسات التعليمية إما بالهدم أو الإغلاق أو التحويل عن الغرض الأصلي... وإما الاستيلاء على الأوقاف التي كانت تصرف على الطلبة والمؤسسات وعمالها.

4- فرنسة التعليم حيث أصبحت الفرنسية بديلا عن العربية وأصبحت لغة رسمية في جميع مراحل التعليم.

5- تغيير أسماء المدن والقرى⁽¹⁾ ومنحها أسماء فرنسية أو أوروبية مثل شارع شوفالي، روفيقون شارل الخامس....

6- زرع الشقاق بين الجزائريين سواء المتحدثين باللغة العربية أو باللهجة البربرية أو غيرها لإيهام المتحدثين بإحدى اللهجات بأنهم من عنصر غير عربي⁽²⁾.

وأمام الوضع السيئ الذي آلت إليه إحدى أهم مقومات الشخصية الجزائرية بل التعليم العربي ككل ظهر علماء الحركة الإصلاحية في الجزائر الذين أعدوا إعدادا خاصا للنهوض بالأمة ومقارعة الاستعمار وأذنا به والقضاء على الفساد والجمود وأنصارهما، ولا يكون ذلك إلا بالتربية والتعليم، فالمدرسة المخلصة التي تعتني كل الاعتناء بالتربية الرشيدة والتعليم الصحيح هي قاعدة النهضة ومنبع الحياة للدين والأمة. فالتربية والتعليم أكبر جهاد في سبيل الله وأعظم قربة إلى الله، فيه من الأجر والجزاء من الله ما ليس في عبادة من العبادات، وهي عمل الرسول والأنبياء وصناعة الزعماء الذين نهضوا بأمتهم وطاروا بها، لا تفصلها صناعة وأهلها إذا أخلصوا واثقوا الله، صفوة الأمة ومقدمتها وخيارها وأبنائها البررة المحسنون⁽³⁾.

6. دعوة الشيخ أبي اليقظان للحفاظ على اللغة العربية والتمسك بها.

من العلماء الجزائريين الميزابيين الذين دعوا للحفاظ على اللغة العربية وبينوا أهميتها نجد الشيخ أبي اليقظان الذي دعا الى ضرورة تلقينها وتعليمها وإحيائها باعتبارها لغة الآباء والأجداد، فهو يؤكد على ضرورة التمسك بها والحفاظ عليها لدرجة الاعتزاز بها، وفي هذا الصدد يقول: "فمن قطع صلته بلغته واستبدلها بلغة أجنبية كان على قومه شرا مستظيرا وعدوا خطيرا ينال وهو داخل في الهدم والتخريب، ما لا يناله عدو الأمة وهو خارج"⁽⁴⁾.

يؤكد الشيخ أبو اليقظان على أن اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي، لغة القرآن المجيد، لغة الحديث الشريف، لغة التدوين والتأليف في الإسلام، لغة التخاطب والتفاهم بين سائر المسلمين في الدنيا والآخرة، فهي الصلة بين الله تعالى وعباده وبين رسوله وأمتة، وبين شرعه وعباده وبين الأوائل والأواخر وبين الغائبين والحاضرين، وإحيائها سعادة المسلمين لا من حيث كونها لغة قومية فقط... وحياة القومية

(1)- ينظر:

Charles Robert Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine, 10ème édition, corrigée, Edition DAHLAB, Alger, 1994, p62.

(2)- أحمد بن نعمان، "الحصانة الدينية للشخصية الجزائرية"، مجلة الأصالة، العدد 85.86، الجزائر 1980، ص 77.

(3)- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ج1، ص 344.

(4)- أبو اليقظان إبراهيم، "ماذا استفدت من الحياة"، الأمة، عدد 02، 25 سبتمبر، 1934.

بحياة لغتها وموتها بموتها... لكن من حيث كونها لغة الدين ولغة الشريعة أيضا إذ لا تتلقى هذه الأخيرة كما يجب إلا بإتقان تلك اللغة وتفهم أساليبها ومناهجها عند أئمتها وأمرائها⁽¹⁾.

لقد ربط الشيخ أبو اليقظان اللغة العربية بالإسلام، وأكد على أنه من الواجب النظر إليها من زاوية القداسة باعتبارها لغة القرآن الكريم، كما بين لنا حقيقتها إذ أعطاه صفة العالمية وفي هذا الصدد يقول: "إن اللغة العربية، كما لا يخفى ليست لغة القومية الخاصة، ولا لسان فئة ممتازة، بل هي لغة عالمية عامة، لأنها لغة دين عالمي عام، ألا وهو الدين الإسلامي، فهي لغة القرآن ولسان السنة القومية، وترجمان بليغ بين الأسلاف والأخلاق...".⁽²⁾

ورغم أهمية اللغة العربية في التواصل بين الأفراد باعتبارها أحد المقومات الأساسية في بناء تاريخ الأمة إلا أنها أصبحت غريبة في ديارها وفي هذا يقول: "إن حظها منهم عاثر وحالها بينهم حال غريب في داره، امشي معي أيها الأخ الكريم، وأدخل المحال العمومية ولا سيما في العاصمة، المجتمعات والنوادي والمحتفلات والمقاهي، والمسارح وغيرها من الأماكن الأهلية، أصغي جيدا لما تسمعه من المتخاطبين، فماذا تسمع هناك ياترى؟ تسمع رطانة غريبة وخليطا في اللغة لا هو عربي ولا بربري ولا فرنسي، وإنما هو مزيج من العربية والبربرية والفرنسية، والعربية منه أقل الثلاثة مع ما هي عليه من التكسر والاختزال...".⁽³⁾ وهنا يشير الشيخ إلى حال اللغة العربية وما وصلت إليه من لغة غريبة وهجينة أصبح يتداولها الناس في ما بينهم، مبتعدين كل البعد عن أصالة اللغة العربية وأسسها الصحيحة التي بنيت عليها منذ قرون من الزمن، إذ يتأسف وبشدة على الوضع الذي أصبحت عليه.

كما عبر عن دهشته واستغرابه من ابتعاد أهلها عن لغتهم الأصلية حين يقول: "ومما يقضي بالدهشة والاستغراب أنك ترى متصاحبين عربيين مسلمين يتخاطبان باللغة الأجنبية كلغتهما الأصلية، نابذين لغتهما ولغة أجدادهما ظهريا، ظنا منهم أن ذلك من مقتضيات التمدن الحديث".⁽⁴⁾

ويتأسف أيضا لنظرة المجتمع تجاه لغتهم العربية حين أصبحوا يرون في استعمالها ابتعادا عن التمدن والتحضر وفي هذا يقول: "والتكلم بلغة الأجداد إنما هو تمسك بقشور بالية تنافي الرقي والتمدن الواجب احتذاؤها وإن كان فيه إماتة المجد والشرف والعظمة القومية والمغلوب يتقصى أثر الغالب ويقلده شبرا بشبر وذراعا بذراع، وإن كان في ذلك حنقه وهلاكه"⁽⁵⁾. وهنا بين الشيخ تأثير المجتمع الجزائري بالثقافة الدخيلة وتناسوا لغة القرآن الكريم (الدين) ويرجع الحالة الأسيفة التي آلت إليها اللغة العربية إلى ثلاث نقاط هي:

أولا: جهل المسلمين وإعراضهم عن العلم الصحيح وضعف تمسكهم بالدين الحنيف.

ثانيا: عدم رغبة الحكومة في وجودها والعمل على قتلها وإماتتها لأسرار تعلمها.

ثالثا: وهن القومية العربية واندماجها في القومية البربرية وعدم اعتبار هذه العربية بما يجب للإسلام من الاعتبار⁽⁶⁾.

(1)- أبو اليقظان إبراهيم، اللغة العربية غريبة في دارها، نشر جمعية التراث، القرارة، 1993، ص 12-13.

(2)- أبو اليقظان إبراهيم، "بشرى لكم يا عشاق اللغة العربية"، المغرب، العدد 33، 12 فيفري، 1931.

(3)- أبو اليقظان إبراهيم، مختارات من صحف أبي اليقظان وادي ميزاب، (1926 - 1929)، إعداد وتقديم محمد صالح ناصر، مكتبة الريام، 2003، ص 78.

(4)- أبو اليقظان إبراهيم، المصدر السابق، ص 79.

(5)- نفسه، ص 79.

(6)- أبو اليقظان، " اللغة العربية غريبة في دارها"، وادي ميزاب، عدد 55، 03 نوفمبر، 1927.

كان الشيخ أبي اليقظان على يقين بالدور الفعال الذي تمارسه الصحافة في توعية الجماهير والتأثير في أصحاب القرار، لذلك وجد من مقالاتها أنجع سلاح لمقاومة الاستعمار وأذنا به وإحباط مخططاته الجهنمية التي كانت ترمي إلى هدم مقومات البلاد. فلقد ورد في إحدى مقالات جريدة الأمة مقال يتأسف فيه عن الوضع الذي آلت إليه اللغة العربية فدعا الشعب الجزائري إلى تعلمها، جاء فيه ما يلي: "فوأسفاه أصبحنا نتخاطب بلسان أجنبي وكأن لا لسان لنا - وجعلنا تمام الجهل اللسان العربي المبين - فوا حسرتاه على حالنا- عرانا الذهول عن لغتنا حتى هجرناها بتاتا وأصبحنا نجري... وراء لغات غيرنا ونقلد، وليتنا أحسنا التقليد وصرنا ننظر إلى قوميتنا بعين النكران، وإلى لغتنا بعين الاحتقار لجهلنا بها..".⁽¹⁾ كما دعا الشيخ إلى السير على نهج اللغة العربية للسمو بمجد الأمة وحضارتها وضرورة التقرب منها لقوله: "أخط خطوات شاسعة بعريبتك وعروبتك نحو الأمام لتنبؤ أمتك ذروة العز والكمال".⁽²⁾ وعبر الشيخ عن غضبه الشديد بعد غلق السلطات الاستعمارية لدار الحديث يتلمسان فكتب مقال في جريدة الأمة يتعجب فيه لسلوك السلطة الاستعمارية المتعسف بقوله: "أحقيقة وقعت الواقعة حادث عظيم يهتز له القطر الجزائري من أقصاه إلى أقصاه..." وبعد شهر من هذه الحادثة صدر قانون 08 مارس 1938 الذي يحرم فتح المدارس العربية ويعد المعلم بلا رخصة في الإجراء كحامل مسدس، ولا يملك الشيخ أبو اليقظان غير أسلوب التهكم ليخاطب به المعنيين بالأمر.³

جهود الشيخ أبي اليقظان في تأسيس مدرسة عصرية:

آمن الشيخ أبو اليقظان بوجوب التعليم الديني العربي العصري في البلاد لذلك عزم على تبني مشروع تأسيس أول مدرسة عربية عصرية للتربية والتعليم في القرارة بجنوب الجزائر يتولى هو بنفسه إدارتها والتعليم فيها وكان ذلك بعد عودته من تونس عام 1915م، حيث تمكن من تجسيد مشروعه وتم فتح أبواب المدرسة في جوان من نفس السنة في حفل بهيج حضره جمع كبير من المصلحين هنئوا أنفسهم والقرارة على إنشاء هذه المدرسة المباركة التي التحق بها حوالي 35 تلميذا.⁴

وقد اعتمدت في عملية التدريس على أساليب عصرية لمواد العلوم العربية والدينية وعلوم الحياة كما جلب لها الشيخ أفضل الكتب المدرسية الحديثة واضعا لتلاميذها برنامجا متطورا يحتوي على الكثير من المواد التي كانت تعد في تلك الفترة غريبة أو مستهجنة كالرياضة والجغرافيا وغيرهما⁵ ولعل من أهم المواد التي كانت تدرس بها نجد:

- تحفيظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.
- تدريس العقيدة والسيرة والفقهاء.
- تدريس القراءة والكتابة والنحو والأدب.
- تحفيظ الأناشيد الوطنية.
- تدريس تاريخ الجزائر والتاريخ الإباضي.
- تدريس الجغرافيا والحساب.

(1)- ع، ث: "هلم أيها النشئ العربي إلى تعلم اللغة العربية"، الأمة، عدد 119، 27 أفريل، 1937.

(2)- نفسه.

(3)- محمد ناصر بو حجاج، أبو اليقظان في الدوريات العربية، المطبعة العربية، غرداية، 1985، ص148.

(4)- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح، ج3، ص193.

(5)- محمد صالح ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ج2، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص54.

- حصة أسبوعية للرياضة البدنية وتعلم الرماية بالبندقية.¹

لقد طور الشيخ أبو اليقظان من أساليب التدريس بمدرسته بطريقة عصرية مجدية، فلم يكتف بالحفظ فقط، بل ركز على طرائق الفهم بالحوار والنقاش وطرح أسئلة واختبار قدرات التلاميذ وذكائهم لمعرفة مدى استيعابهم لشرح الدروس، كما ركز على الجانب الأخلاقي حيث سعى جاهداً إلى توحيد التلاميذ وتهذيب أخلاقهم بغية تنشئتهم تنشئة مهيبة قوية ذات عقول مثقفة ومدركة أساسها العربية لغة والإسلام ديننا، الأمر الذي جعل المدرسة تتميز عن غيرها بالتجديد والتحديث والتطوير فأصبحت نموذجاً عصرية رائعا على عكس التعليم التقليدي وطرقه في إلقاء الدروس.

وبهذا الإنجاز العظيم نجح الشيخ أبو اليقظان قد تحدى الظروف العامة للبلاد التي كانت تن تحت قمع استعماري رهيب خاصة الإدارة الاستعمارية التي كانت تضيق على التعليم العربي وتعرقله بمختلف الوسائل وتراقب عن كثب فتح المدارس العربية غير مرخص لها، علما بأن مدرسة الشيخ أبي اليقظان كانت خارج القانون ومخالفة للتوجهات الاستعمارية، ولإبعادها عن أنظار الإدارة الاستعمارية اتخذ الشيخ مجموعة من التدابير والاحتياطات اللازمة بمساعدة أعيان البلدة من خلال مراقبة زيارة الحكام العسكريين وأعوأهم وتنبهه، علما بأن الشيخ لم يقيم بتجهيز مدرسته بالوسائل الحديثة كالتايلوات مثلا، بل اكتفى بجلوس التلاميذ على الحصى في الأرض مستعملا السبورة الجماعية والتلاميذ يكتبون على كرايسهم وكان في نية الشيخ أنه عند مدهمة الاستعمار الفرنسي لها تظهر على شكل كتاب عتيق ليس فيه إلا تحفيظ القرآن الكريم كسائر كتاتيب البلدة.² وخوفاً من الاستعمار وأذنايه وحتى لا يرمي بعيونه إلى المدرسة ويهاجم ويطارد القائمين عليها كان الشيخ أبي اليقظان يترك تلاميذهما يلعبون الرياضة في حصن المدرسة.³

لقد استمرت المدرسة في نشاطها الدؤوب خدمة للتعليم العربي والديني مدة سنة وبضعة أشهر إلى غاية اتخاذ الشيخ أبو اليقظان لقرار عودته إلى تونس من أجل مزاولة دراسته في جامع الزيتونة الأعظم وللوقوف على رأس أفواج البعثات العلمية الميزابية الجديدة من أجل النهل من مختلف العلوم العصرية بالمعاهد التونسية المتطورة

كانت هذه المدرسة بمثابة فتحة عظيمة للجزائر ووادي ميزاب، فهي عبارة عن تجربة رائدة ومحطة من محطات نضال الشيخ أبي اليقظان في سبيل الحفاظ على التعليم العربي العصري وإعداد الناشئة قصد بناء مجتمع صالح تسوده الفضائل وتحكمه القيم العربية والإسلامية وبالتالي عوائدها كانت عظيمة أضافت للناس حلاوة التعليم العربي العصري وأرتهم النتائج الباهرة وكان هدفها هو استنهاض الهمم من أجل تأسيس مدارس ماثلة لها في كل أنحاء البلاد.

وفي الأخير نقول بأن الشيخ أبا اليقظان قد اهتم اهتماما كبيرا باللغة العربية، وسخر لها قلمه من خلال مقالاته النارية التي ملأت صفحات جرائده، مناديا بضرورة الحفاظ على اللغة العربية، فدافع عنها بشدة وعزيمة لا تنهيا مكائد الاستعمار الفرنسي، كما دعا إلى ضرورة ترقيتها والتمسك بها باعتبارها مقوم أساسي في البنية الاجتماعية للجزائريين، خاصة وأنها تعتبر من رموز القومية العربية الإسلامية.

(1)- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند إباحية الجزائر، جمعية التراث، غرداية، 2011، ص 498.

(2)- قاسم بن أحمد الشيخ، المرجع السابق، ص 499.

(3)- محمد علي دبو، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 3، ص 196.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- العربية:

- 1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ط1، (دار الغرب الإسلامي، 1998)، ج5.
- 2- أبو اليقظان إبراهيم، "بشرى لكم يا عشاق اللغة العربية"، المغرب، العدد 33، 12 فيفري، 1931.
- 3- أبو اليقظان إبراهيم، "ماذا استفدت من الحياة"، الأمة، عدد 02، 25 سبتمبر، 1934.
- 4- أبو اليقظان إبراهيم، اللغة العربية غريبة في دارها، ط2، القرارة، نشر جمعية التراث، 1993.
- 5- أبو اليقظان إبراهيم، مختارات من صحف أبي اليقظان وادي ميزاب (1926 - 1929)، إعداد وتقديم محمد صالح ناصر، (مكتبة الريام، 2003).
- 6- أبو اليقظان، "اللغة العربية غريبة في دارها"، وادي ميزاب، عدد 55، 03 نوفمبر، 1927.
- 7- أبو اليقظان، "موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري"، جريدة البصائر، العدد I، 27 ديسمبر، 1935، السنة 1.
- 8- أبو بكر صالح بن عبد الله، القرارة من دخول الاستعمار الفرنسي إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، الحلقة الثانية، القرارة، جمعية التراث، 2014.
- 9- الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين في آخر سنتها الرابعة، "الأمة"، العدد 43، 1935/09/24.
- 10- الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، د ط، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983).
- 11- بركات أنيسة، "التأثير الثقافي في الأسرة الجزائرية من الاحتلال إلى استرجاع الاستقلال"، مجلة الثقافة، عدد 82، سنة 1984.
- 12- بن بكير الحاج السعيد يوسف، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية وسياسية، (الجزائر: وزارة الثقافة، 1983).
- 13- بوحجام محمد ناصر، أبو اليقظان في الدوريات العربية، (غرداية: المطبعة العربية، 1985).
- 14- بالحاج قاسم بن أحمد الشيخ، معالم النهضة الإصلاحية عند إباحية الجزائر، (غرداية: جمعية التراث، 2011).
- 15- الجنديانور، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965).
- 16- جوليان شارل أندري، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د. ت.).
- 17- زهوني الطاهر، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، (الجزائر: دون دار نشر، 1994).
- 18- طلاي إبراهيم، ميزاب بلد كفاح، (قسنطينة: مطبعة البعث، 1970).
- 19- محمد خير الدين، مذكرات، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1).
- 20- المديني أحمد توفيق، مذكرات حياة كفاح (1925. 1954)، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977)، ج2.
- 21- مرتاض عبد المالك، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983).
- 22- بابا عمي محمد بن موسى وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2000.
- 23- ناصر محمد صالح، مشايخي كما عرفتهم، (الجزائر: دار الريام، 2008).
- 24- ناصر محمد صالح، "المصلح الراحل الشيخ أبو اليقظان"، جريدة الشعب، العدد 2212، الاثنين 6 ربيع الأول، 1393 هـ، الموافق لأفريل، 1973.
- 25- ناصر محمد صالح، الصحف العربية الجزائرية 1847-1939، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980).
- 26- ناصر محمد صالح، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، (القرارة: جمعية التراث، 1989).
- 27- ناصر محمد صالح، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، (الجزائر: دار ناصر للنشر والتوزيع، 2018).
- 28- بن نعمان أحمد، حزب البعث الفرنسي، (الجزائر: دار الأمة، 1995).
- 29- بن نعمان أحمد، "الحصانة الدينية للشخصية الجزائرية"، مجلة الأصالة، العدد 85.86، الجزائر 1980.
- 30- النوري حمو محمد عيسى، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر، مجلد II.
- 31- السنوسي محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ط1، (تونس: 1926)، ج1.
- 32- ع، ث: "هلم أيها النشء العربي إلى تعلم اللغة العربية"، الأمة، عدد 119، 27 أفريل، 1937.

- 33- علي دبور محمد ، تاريخ المغرب الكبير، (القاهرة، 1963).
- 34-علي دبور محمد، أعلام الإصلاح في الجزائر، ط1، (الجزائر: عالم المعرفة، 2013)، ج 1 .
- 35- علي دبور محمد، أعلام الإصلاح في الجزائر، (الجزائر: عالم المعرفة، 2013)، ج3.
- 36- علي دبور محمد، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، (الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013)، ج 1.
- 37- علي دبور محمد، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، (الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013)، ج 2.
- 38-فرصوص أحمد محمد، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته، (قسنطينة: دار البعث، 1991).
- 39-فضلاء محمد الحسن، من أعلام الإصلاح في الجزائر، (مطبعة دار هومة، 2000)، ج 1.
- 40-فضلاء محمد الطاهر ، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، ط 1، (قسنطينة: دار البعث، 1984).
- 41- الصديق محمد الصالح، أعلام من المغرب العربي، (الجزائر، 2000م)، ج 3.
- 42-الصديق محمد الصالح، أعلام من المغرب العربي، ط2، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2008)، ج 2،
- 43-قسوم عبد الرزاق، "أبو اليقظان أحد رواد الإصلاح في الجزائر"، مجلة الأصالة، ع 05، مطبعة البعث قسنطينة، 1971.
- 44-بن رحال يمينة، "الشيخ أبو اليقظان إبراهيم ابن الحاج عيسى وقضايا عصره (1888-1973)"، رسالة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2004-2005 م.
- 45- ابن أبي شنب سعد الدين، "النهضة العربية في القرن 4هـ"، مجلة كلية الآداب، العدد 01، الجزائر، السنة الأولى، ، 1964.
- 46-الشيخ أبو عمران وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، (الجزائر: منشورات دحلب، 2000).
- 47- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد ابن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، (د ط)، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د ت)).
- 48- الخطيب أحمد، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985).
- 49- بن ذياب أحمد، "أبو اليقظان والنهضة القومية"، مجلة الأثير، العدد 10، جانفي 1973.

ب- الأجنبية:

- 1- Charles Robert Ageron , Histoire de l'Algérie contemporaine· 10ème édition, corrigée, Edition DAHLAB ,Alger,1994.